تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

أدب النفس أو أدب التراجم الذاتية :

أنتظر بفارغ الصبر أن تتموا كتابكم عن شاعر الأداء النفسى الأستاذ على محمود طه ، وأن تدفعوا به إلى المطبعة ليأخذ طريقه إلى أيدى القراء فى شتى البلاد العربية . وليس من شك فى أننى سأجد فيه ما تميزتم به من دقة الحكم وجمال العرض وبلاغة الأداء . ولعل الفصول التى نشرتموها فى الرسالة الزاهرة هى التى شوقتنى إلى هذا الكتاب وجعلتنى أتلهف إلى شرائه والاطلاع عليه ، ونقده النقد الذى يليق به ويليق بما جاء فيه من غوص وعرض وتحليل ونماذج . إننا لنشكرك على ما بذلت من جهد فى هذا الكتاب القيم ، ونرجو الله أن يوفقك إلى انجازه ؛ فقد فكر النقاد فى نقده وعرضه قبل أن يخرج كاملا إلى وجه الحياة ، وفى قراءته وهو ما عم بين المحابر والأقلام .

بعد هذا أود أن أذكر لكم أننى أذعت حديثا عن الأستاذ توفيق الحكيم من محطة الإذاعة العربية بهلفرسم ، وانى أعقبت هذا الحديث بحديث آخر عن معالى الدكتور طه حسين بك ، وقد سبق أن أكتب حديثا ثالثا عن الأستاذ الزيات فى سلسلة أعلام أدبنا العربى الحديث . وبعد شهرين على وجه التقريب سيكون حديثى الرابع عن النقد والنقاد فى مصر ، وبالطبع سأبدأ بكم كناقد له أثره المعروف وخصائصه الممتازة ... وفى خلال هذه الفترة أرجو أن تكتبوا — إن بدا لكم — عن نفسيتكم ، إذا استطعتم أن تعرضوا هذه النفسية بشىء من التأمل الباطنى والصراحة المحببة ، حتى أرى رأيكم فيها وكأنها شىء تتقدونه وهو عنكم بعيد ! ومع أننى قد وقفت على كثير من جوانب شخصيتكم الأدبية والإنسانية من خلال هذه « التعقيبات » التى تكتبونها للرسالة ، إلا أن هذا الذى أطالبكم به سيعينى على أن أطيل الوقوف وأخرج ببعض الزوايا وأحدد بعض الخطوط .

ولكم خالص التحية من المخلص :

أحمد طه السنوسى

الأستاذ أحمد طه السنوسى صاحب هذه الرسالة كاتب من الكتاب المعروفين لقراء « الثقافة » فضلا عن قراء « الأهرام » ، بما ينشره هنا وهناك من فصول قيمة فى الشئون العربية والسياسية والاقتصادية ... ولقد أتيح لنا أن نطلع على الحديثين اللذين أذاعهما عن الأستاذ توفيق الحكيم والدكتور طه حسين ، وعلى هذا المقال الذى كتبه عن « الشعر العربى فى حضر موت » بالعدد الماضى من « الرسالة » . ومن هذه الأحاديث الأدبية نستطيع أن نطمئن إلى الملكة الناقدة عند الأستاذ الفاضل ، إذا ما خطر له أن يقيم الميزان لناقد من النقاد أو أديب من الأدباء .

وللأستاذ أن يتقبل شكرنا أولا على حسن ظنه ، وأن يثق ثانيا بأننا ماضون فى إنجاز الكتاب الذى وعدنا القراء بإنجازه ، ونعنى به تلك الدراسة المطولة لحياة الأستاذ على محمود طه وشعره ؛ وهى الدراسة التى نشرنا بعض فصولها على صفحات الرسالة ... ولقد كنا على وشك الانتهاء من هذا الكتاب وتقديمه إلى المطبعة ، إلا أننا قد رأينا أن نرجىء إخراجه بعض الوقت تبعا لما طرأ من تعديل على منهج الدراسة ومما ترتب عليه من إضافة لبعض الفصول ، نلتمس فى ضوئها ما نتطلع إليه من كمال فنى يتناسب ومكانة الشاعر العظيم .

أما عن رغبة الأستاذ الفاضل فى أن نقدم إليه شيئا من الترجمة الذاتية التى تتصل بأدب النفس فإننا نقول له : إن دراسة الشخصية الأدبية مرتبطة بالشخصية الإنسانية أمر من ألزم الأمور لكاتب التراجم ودارس الأدب وناقد الفنون . ولقد سجلنا هذه الحقيقة الفنية فى مقدمة دراستنا لشعر على محمود طه حيث قلنا على صفحات الرسالة منذ شهور : « لقد درسنا حياة على طه النفسية ودرسنا آثاره الفنية ... درسنا هذه وتلك على طريقتنا التى نؤمن بها وندعو إليها كلما حاولنا أن نكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاول غيرنا أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الانسانية أولا ، ومفتاح الشخصية الأدبية ثانيا ، والربط بعد ذلك بين الشخصيتين

لننفذ إلى أعماق الحقيقة فى الحياة والفن ومدى التجاوب بينهما منعكساً على صفحة الشعور المعبر عنه فى كلمات »

ودراسة الحياة النفسية لأديب من الأدباء تقتضى من الدارسين أن يتصلوا اتصالا مباشرا بهذه الحياة بغية المراقبة والملاحظة والتسجيل . وإذن فلا مناص من المصاحبة والمعاشرة بين الناقد والمنقود ، لتتكشف الشخصية الإنسانية للدارسين من خلال ثوبها الطبيعى الذى يشف عما تحته بلا تعمل ولا تكلف ولا رياء . ذلك لأن البيئة التى نعيش فيها والمجتمع الذى نضطرب فيه ، لا يهيئان لنا أن نتحدث عن أنفسنا حديث الصراحة السافرة التى تعنى بإبراز المحاسن والمآثر عنايتها بإبراز المساوىء والعيوب .. وليس من شك فى أن الأستاذ السنوسى يلتمس لنا بعض العذر إذا قلنا له إن الحديث عن النفس شىء عسير ، ولا نقول شىء بغيض كما يحلو لبعض المتجرين بالتواضع أن يصفوه ! عسير لأن المجتمع الذى نتنفس فى رحابه سيتهمنا إذا نحن أنصفنا أنفسنا فذكرنا منها الجانب المضىء ، وسيتهمنا مرة أخرى إذا ما عرضناها فى صورتها الحقيقية وهى فى كنف الظلام ...

نحن إذن معشر الأدباء متهمون فى كلا الحالين ، ولكن الأمر يختلف كل الاختلاف إذا ما كتب عنا الآخرون لأنهم فى نظر المجتمع قضاة محايدون .. هذا إذا قدر لهم أن يطلعوا على ما خفى وما ظهر فى حياة المنقودين من شتى الميول والنزعات ! لو كنا فى بيئة غير البيئة ومجتمع غير المجتمع لتحدثنا عن أنفسنا حديث الذين لا يخشون لومة لائم ولا اتهام متهم ، ولا جناية جان على حقيقة الطبائع النفسية كما فطرها الله وكما قدر لها أن تكون ... ولكننا بهذه الأوضاع الاجتماعية فى الشرق لا نستطيع ، وإذا أتيح لنا أن نتحدث إلى الغير عن حياتنا الذاتية بجوانبها المشرقة والمظلمة ، فهى الإتاحة التى تدفعنا إلى ذكر بعض الحق والتستر على البعض الآخر ، وحياة كهذه يحال بيننا وبين التحدث عنها بكل الحق هى فى رأينا حياة لا يطمئن إليها الدارسون ! إننا نبغى من وراء الدراسة النفسية لحياة أديب من الأدباء أن نضع أيدينا على مفتاح شخصيته الإنسانية ، ورب حادث تافه يتحرج الكاتب من ذكره فيدفع إلى حذفه من تاريخ حياته ؛ رب حادث كهذا يقدم إلينا المفتاح الحقيقى لشخصيته حين يكتب فى بضعة أسطر فلا تفى عنه مئات الحوادث فى ألوف من الصفحات !

إن الحياة النفسية إذا أريد لها أن تعرض فلتكن فى صراحة « الاعترافات » لروسو وجراة « اليوميات » لأندريه جيد .. ونقتطف هنا بعض ما قلناه عن الاعترافات واليوميات نقلا عن مقال كتبناه للرسالة منذ سنتين ، وكان عنوانه « دفاع عن الأدب » : « الاعترافات واليوميات صورة واقعية لفترة من حياة الكاتبين الكبيرين ، تعد فى حقيقتها لونا من الترجمة الذاتية التى تضع فى يد القارىء والناقد مفتاح شخصيتهما الأدبية والإنسانية .. وحسبك أن كتاب الاعترافات يقدمون إلى الناس صفحات من سجل الحياة سطرت بمداد الصراحة والأمانة والصدق ؛ صفحات عارية لا تكاد تتشح بضلالة واحدة من غلائل النفاق الاجتماعى وتملق عواطف الجماهير ولعمرى إن الكاتب الذى يعرض أمام الناس فترة من فترات حياته بما حفلت من خير وشر ، من فضيلة ورذيلة ، من لذة وألم دون أن يخشى فى ذلك نقدا أو لوما أو زلزلة لمكانته الأدبية والاجتماعية ، هذا الكاتب فى رأينا ورأى الحق رجل قوى جدير باحترام الأقوياء . إن هناك كتابا يتظاهرون بحب الخير والتمسك بأهداب الفضيلة وهم غارقون فى حمأة الموبقات ، فهل نستطيع أن نصف أدبهم بأنه أدب قوة ؟ كلا .. ولا نستطيع أن نرفع من قيمة هذا الأدب إذا ما قسناه بمقياس الفن الصادق ، بمقياس صدق التعبير عن الحياة ، لأنه أدب يعبث بالحقائق ويشوه الوقائع ويكذب على الحياة والناس إن أندريه جيد لو لم يكن متأثرا فى كتاباته بفيلسوف القوة نيتشه لما تهيأ له أن يتناول قلمه ليكتب ما كتب فى اليوميات »

هذه فقرات مما جاء بمقالنا الذى كتبناه منذ سنتين عن روسو وأندرية جيد . ولا ينتظر الاستاذ السنوسى من أى كاتب فى الشرق أن يتحدث عن نفسه بكل الحق كما فعل الكاتبان الفرنسيان ، وليس كحديثهما حديث يرتجى منه صدق التعبير عن عالم النفس وأمانة النقل عن واقع الحياة .

بين ثقافة المدرسة وثقافة الحياة :

أنا من عشاق الأدب وقراء الرسالة ، ومشكلتى هى مشكلة الكثيرين ممن حال الفقر بينهم وبين مواصلة التعليم مات والدى

وأنا طالب بالمدارس الابتدائية ، ولم يترك لى من المال مايعينى على طلب العلم حتى النهاية . وحين حصلت على الشهادة الابتدائية بعد جهد عنيف حيال الظروف القاسية ، لم أستطع أن أنظر إلى أكثر من هذا الذى حصلت عليه ، لأننى كنت موزع الفكر بين واجبين : أولهما أن والدى ترك لى والدة وشقيقات ليس هناك من يكفلهن غيرى ، وثانيهما رغبتى فى إتمام مرحلة التعليم شغفا بالثقافة والمعرفة . ولم أجد بدا من الخضوع للواجب الأول نزولا على حكم العاطفة ونداء الضمير ، وكان أن التحقت باحدى الوظائف الحكومية بمرتب ولو أنه ضئيل ، إلا أنه يوفر لنا حياة تبعد عنا شبح الفاقة والحرمان .

واليوم وقد حالت الظروف المادية بينى وبين طلب العلم فى المدرسة ، فقد رأيت أن أطلبه فى مدرسة أخرى هى مدرسة الحياة .. فهل تقبلون أن تكونوا أنتم الأستاذ المشرف على ما يبتغيه تلميذكم المخلص من وسائل التوجيه والإرشاد ؟ إننى أريد أن أدرس الأدب العربى دراسة وافية ، وكذلك أريد أن أتجه إلى التثقيف العام الذى يأخذ من كل شىء بمقدار ... فأى الكتب أقرأ ، وعلى أى منهج أسير ؟ ودمتم عونا للأدب ونصيراً للأدباء .

« شندى السودان » عطيه هسه

بمصلحة البريد والبرق

من حق الأديب السودانى الفاضل علينا أن نحيى فيه هذه الروح الطيبة ، روح الجهاد الذى يريد أن يشق طريقه ولو امتلأ الطريق بالاشواك ، وروح التضحية فى سبيل الأهل حين لا يكون هناك مفر من تحمل التضحيات ... إن الجهد الذى يبذل فى سبيل المجموع خير عند الله وأبقى من الجهد الذى يبذل فى سبيل فرد من الأفراد !

وإذا كان الفقر قد حال بين الأديب المجاهد وبين التعليم فإنه ان يحول بينه وبين التثقيف ، ذلك لأن العلم يطلب فى المدرسة وخارج المدرسة ، ولن يستطيع أحد أن يقول بأن المدارس هى التى تخرج الأدباء وتصنع المثقفين ... إن الفضل فى تخريج هؤلاء وأولئك يرجع إلى المواهب الذاتية والجهود الفردية ، هناك فى مدرسة الحياة حيث يجد كل إنسان بغيته من ثمار الآداب والفنون وهل هناك ما يصقل العقول ويلهم النفوس أكثر من مصاحبة العلم فى الكتب وممارسة التجارب فى الحياة ؟ بهذه وتلك يخلق الأديب ويوجد المفكر ويولد الفنان ... وما أكثر الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم حين حرموا المرشد وفقدوا الموجه وحيل بينهم وبين إشراف المدرس ورقابة الأستاذ !

بعد هذا يريد الأديب الفاضل أن يدرس الأدب العربى دراسة وافية ، ثم يطلب الينا أن ندله على الكتب التى يقرؤها ليظفر بما يريد ... الحق أن هذا مطلب عسير التحقيق ، لأننا محتاجون إلى ان نصدر عدداً خاصاً من « الرسالة » يتسع لهذا العدد الضخم من أسماء الكتب وأصحاب الكتب من القدامى والمحدثين !! هناك طريق واحد يجب أن يسلك ، وهو أن يقصد الأديب صاحب السؤال إلى دور الكتب العامة حيث تكون بين يديه شتى الفهارس للمصنفات والأعلام ، وعلى هدى تلك الفهارس يستطيع أن يطلع على القديم والجديد اطلاع الدارس والمتذوق والناقد إذا أراد ... والأمر بعد هذا كله متوقف على جهده الشخصى ومدى قدرته على التفرغ والمثابرة واحتمال المشقات إن للأدباء المحدثين دراسات وافية للأدب العربى فى عصوره المختلفة وخصائصه المتميزة ، فعليه أن يرجع الى هذه الدراسات التى تعينه على فهم هذا الأدب وتذوقه عن طريق المقارنة بين الدراسة والنص ، أو بين النقد والمثال .

أما عن رغبته فى التثقيف العام الذى يأخذ من كل شىء بمقدار ، فإن الطريق ممهد إذا ما حقق هذا الذى قلناه بالنسبة إلى الشق الأول من السؤال ... ثم إذا تهيأ له أن يتقن لغة غير لغته ليستعين بها على النظر فى شتى الآداب الأجنبية وآثار الفكر الغربى الحديث . ولن يكون المثقف مثقفا بأوسع معانى الكلمة إلا إذا قرأ فى كل شىء وحاق فى كل أفق وطرق كل باب من الأبواب ... نعنى أن الأدب وحده ليس هو المجال الذى يقتصر عليه طالبو الثقافة ليصبحوا مثقفين ، ولكن المجال يجب أن يتعداه إلى ألوان أخرى من العلوم والفنون !

مذهب جديد فى نقد الشعر :

قارىء من قراء الرسالة لم يشأ أن يذكر اسمه ولا اسم الشاعر الذى بعث إلينا ببعض شعره ، ولكنه يقول لنا فى رسالته :

لقد خرجت من دراستكم لشعر الأستاذ على محمود طه رحمه الله ،